الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الجرائد العالمية
التاريخ: ١٩٧١/١٠/٢

محاكمة خصوم السادات

بقلم: رودولف شيمبلى

فى عام مضى كان قلب حكومة الجمهورية العربية المتحدة يخفق بالوحدة الوطنية التى تمت تحت زعامة جمال عبد الناصر . واليوم تجرى محاكمة بعض رجال الدولة البارزين فى القصر الفخم الذى بناه البارون امبان رجل المال البلجيكى فى وسط الصحراء فى أوائل هذا القرن . وتشمل هذه المحاكمة على صبرى نائب رئيس الجمهورية السابق ، وشعراوى جمعه وزير الداخلية السابق وسامى شرف وزير مجلس الرئاسة السابق وابو النور الامين العام السابق للاتحاد الاشتراكى ولبيب شقير رئيس مجلس الشعب و ٨٦ شخصا آخرين ، وقد وجهت اليهم تهمة التآمر لقلب نظام الحكم ، فى شهر مايو الماضى وكان هؤلاء جميعا عدا النظام القائم . ولذلك لايعرف احد ، ما اذا كان هذا التآمر حقيقيا أم مزعوما . وبجانب المكان مباشرة الذى اعلن فيه ناصر فى شهر مايو فى سنة ١٩٦٧ أمام مئات من الصحفيين الاجانب عندما بلغت ازمة الشرق ذروتها بأن اسرائيل لو اعلنت الحرب فسيكون فى ذلك نهاية الدولة اليهودية ، ستنشب معركة قانونية حول نتائج الهزيمة .

وفى غضون ذلك عرف كل انسان فى القاهرة بكل تأكيد ، ان صراعا حول الاتجاه السياسى للبلاد — ومن المحتمل ان يكون صراعا حول السلطة — كان ناشبا فى الربيع الماضى ، وكان السادات فى ذلك الوقت يسعى لدى زعماء الهيئات السياسية العليا لايجاد حل سلمى لمشكلة الشرق الاوسط ؛ وتأسيس الاتحاد مع ليبيا وسوريا ، ولكن الاقلية وقفت الى جانبه . وعندما رفض الخضوع لارادة الاغلبية ؛ بدات هذه فى التشاور حول ما يمكن عمله ، ولكن الرئيس — الذى عرف كيف يستميل الجيش الى جانبه — شل حركتها . وقد طالب . المدعى العام فى هذه القضية بالحكم على خصوم الرئيس السادات بالاعدام . ولم يذكر فى هذه القضية على وجه التحقيق ان كان اتفاق هؤلاء ضد السادات ، قد اتخذ شكل التآمر اثناء وجودهم فى مناصبهم ، ام انهم كانوا يديرون خطة لاغتياله .

بل بالعكس لقد ارتكب المدعى العام غلطة ، عند ما اعترف علنا بأنه « كان يوجد دائما قضايا سياسية » ، فى كل مكان ، وقد قال رئيس محكمة الثورة فى الخطب التى القاها فى «الاجتماعات الشعبية فى الارياف (وهو ما كان يصح أن يقال بعد ان حرم السادات تشكيل المحاكمة الاستثنائية) « نشكر الله لحدوث هذه المؤامرة » واجاب شعراوى جمعه فى ابتسامة ساخرة فى احدى الجلسات العلنية القابلة التى عقدت فى بداية المحاكمة عن التهمة الموجهة اليه قائلا « مؤامرة ؟ اية مؤامرة» واشار على صبرى المدير الرئيسى لهذه الحركة الى انه كان قد أبعد عن منصبه عندما كان المتآمرون يدبرون خططهم وعندما بدا الحديث عن انظمة التجسس والات التسجيل ، وان هذه قد انشئت فى عهد ناصر وبعلمه (وكانت معروفة للسادات ولكل انسان) وخوفا من ان تؤدى المناقشات الى انكشاف أمور لاتتفق مع الصورة التى تبدو بها هذه المؤامرة ، تقرر ان تكون الجلسات سرية .

وقد تستمر بقية المحاكمة زمنا طويلا ، وقد صرف النظر عن تنفيذ الحكم فورا على المتهمين ، الاثنى عشر ، بعد النطق ، كما أعلن من قبل – وقد انتهت مرافعة النهاية والدفاع وبدىء الان فى محاكمة الجماعة الثانية؛من المتهمين ، وعددهم ثلاثون متهما .. ولم يمتنع المحامون عن الادلاء بآرائهم – لانهم فى غير حاجة الى الخوف من الانتقام منهم ، وتعذيبهم ، اذا اشتدوا فى الدفاع عنهم ولهم صلات دولية ، وتسللت منهم اخبار ، الى الصحافة البيروتية ، تكشف عن أسرار ما يدور فى الجلسات ، وصرحوا أن فى نيتهم عند الضرورة استئناف حكم محكمة الثورة امام المحكمة الدستورية ، وسيحل شهر الصيام الاسلامى ، قبل ان تنتهى محاكمة الخمسين متهما الباقين ، وسيبدأ هذا الشهر فى ١٨ اكتوبر القادم وهو شهر المصالحة والسلام ، ولا يستحب فيه أصدار احكام قاسية . والى ان يتم التصديق على الاحكام وتنفيذها ، سيكون العام الجديد قد حل . ولا بد من تشكيل محكمة عسكرية اولا ، لمحاكمة الفريق فوزى .

وعلى كل حال لا يعتقد احد فى القاهرة ، ان الرئيس السادات سينفذ حكم الاعدام فى منافسيه لان هذا لا يتفق مع الاسلوب غير الدموى ، الذى يتصف به وادى النيل . والمصريون الوحيدون الذين نفذ فيهم حكم الاعدام ، فى العشرين سنة من عمر الجمهورية كانوا من جماعة الاخوان المسلمين ، الذين اطلقوا الرصاص على جمال عبد الناصر وقد احيط الملك المعزول بجميع انواع التبجيل والاحترام وهو يصعد الى ظهر السفينة التى أبحرت به الى المنفى ، وعندما مات دفن فى أرض الوطن . وانتحر عبد الحكيم عامر اخلص رفيق لعبد الناصر الذى كان كبش الفداء ، لهزيمة سنة ١٩٦٧ أو اكره على الانتحار . وشمس بدران وزير الحربية السابق وهو احد الخائنين والفاشلين البارزين المحيطين بعامر، يقيم الان فى غرفة بها جهاز تكييف ، ولاتنقصه

الخمور ولا انواع الترقية الاخرى . ومن المنتظر ان يصدر الرئيس عفواً عاما عن على صبرى والمتهمين الاخرين فى حالة الحكم عليهم بالاعدام وسيكون مصيرهم شبيها بمصير شمس بدران .

ولقد سجل الشعب المصرى ، بكل ترحيب تصفية الجهاز البوليسى وانصار ناصر الممثلين فى الحزب ، لان هذه التصفية جلبت له حرية أرفع ، وضمنت له الامن والسلام . وبصبح الناس يتحدثون بحرية فى مكاتب الحكومة ، وفى المقاهى وفى الصالونات بحرية دون خوف أو خشية من عين رقيب ، أو أذن تسترق السمع ، ولعله سيكون من الصعب الاشراف على هذا الشعب اذا اعطيت له الحرية زمنا طويلا بعد ان كان يحكم حكما بوليسيا منذ أزمان الفراعنة . ولا شك أن اضرابات العمال فى مصانع حلوان للمطالبة برفع الاجور هى الدلالة الاولى على ذلك . والدلالة الثانية هى تأجيل افتتاح الجامعات الى منتصف شهر اكتوبر . وبرغم ذلك فأن المصريين راضون عن أنور السادات فى الوقت الحالى فقد اخذ يخفف من القيود المفروضة على التجار وارباب الأعمال ، ثم انه رفع الحد الأدنى لاجور العمال والمعاشات وجعل صغار الملاك الزراعيين يتمتعون بخيرات مزارعهم ويصبحون من الأعيان فى قراهم .

واغلبية الشعب المصرى ، تتمتع بقيام الهدنة ، وسيغفر المصريون للسادات موقفه اذا منعته تعقيدات دولية بالغة القوة ، من التمسك بموعد ٣١ ديسمبر سنة ١٩٧١ الذى حدده ، هو نفسه للحسم ، فأما سلام واما حرب . وبرغم أن الرئيس ان عاجلا او آجلا سينزلق الى موقف حرج اذا لم تثمر جميع المناورات السياسية والتنازلات والتهدئات فانه ما زال يأمل أن يضغط الأمريكيون على الاسرائيليين لحملهم على الانسحاب ، صحيح لقد هاجم الرئيس الولايات المتحدة فى خطابه الأخير وامسك عن الاشادة بالاتحاد السوفييتى ـ كما كان

يفعل من قبل ـ الذى يدين له المصريون بالفضل واكتفى للمرة الأولى بالاشارة والاشادة بقوة ارادة روسيا للصمود فى الحرب العالمية الثانية مثلا . وكذلك لم يذكر ناصر فى خطبته السابقة .

وفى نفس الوقت صرح الدبلوماسيون المصريون بأنهم يوافقون على أن تناقش الجمعية العامة للامم المتحدة مشكلة الشرق الأوسط فى شهر نوفمبر أو ديسمبر ؛ وهذه مهلة أخرى لاجراء مشاورات

وتستغل الدعاية المصرية المناوشات على قناة السويس وتبالغ فى ضخامتها وشدتها لأنها صالحة للفت انظار الوفود فى الأمم المتحدة وبقية العالم الى خطورة مشكلة الشرق الأوسط .

وقد هدد السادات الاسرائيليين ؛ بأن العين بالعين والسن بالسن ويقول القاهريون وهم يمزحون أن الرئيس يقصد الطائرة بالطائرة .

ولاشك أن الرئيس السادات لا يريد الحرب ، لأنه يدرك جيدا أن مشكلة مصر ؛ ليست اسرائيل ، وبقاء اسرائيل قرابة ربع قرن جعل المصريين يعتقدون فى صحة هذه الخرافة الخطيرة .

واستنادا على الحقيقة التى يدركها الرئيس السادات جيدا ، وهى إن مصر مثل الدول الأخرى فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية بلد فقير متخلف مزدحم بالسكان ، ترتفع فيه نسبة المواليد وتتكاثر فيه البطالة ، يحاول الرئيس افهام الشعب المصرى ان وجود اسرائيل هى السبب فى هذا . أن الطريق الشاق المضنى ـ على حد قول الرئيس ـ الذى يجب السير فيه ، يعنى تطور البلاد وتنميتها بمساعدة الشرق والغرب وعلى قاعدة الامكانيات المالية الضخمة ، والأراضى الواسعة الضخمة لوادى النيل ، وهو النظام الذى تتبعه السودان وليبيا أيضا .

وليس من المتوقع أن يتخذ الرئيس السادات من الهزيمة منطلقا للبدء فى هذا الطريق ، فقد وصف أحد البارزين فى الشئون السياسية والاقتصادية فى القاهرة إستراتيجية بلاده بما يلى « أننا قاعدون منذ سنة ١٩٦٧ حيث نقعد الآن . والمحافظة على بقاء الاسرائيليين حيث يرابطون كلفت الأمريكيين ٨٠٠ مليون دولار فى سنة ١٩٦٩ . وفى هذا العام حوالى ١ر٥ مليار من الدولارات ، فلننتظر وننظر الى متى سيتحمل الأمريكيون هذه الأعباء ؟ أما نحن ففى إمكاننا إن نقبع هناك عشرين سنة أخرى ، الى أن ينخفض مستوانا حتى يصل الى مستوى الهند . ويمكن أن نتحمل هذه المرارة بدون القيام بثورة . والثورة من اعلى لن تغير من الوضع شيئا » .

ويرى الروس منذ أن دعم السادات مركزه أن مستقبلهم السياسى فى هذه المنطقة ، لم يعد مضمونا كما كان من قبل برغم تغلغلهم الاقتصادى والثقافى فى مصر . لقد امتدت المشروعات الاقتصادية التى يقوم بها الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية الى الواحات فى الصحراء . ولأول مرة علقت لافتات فى الجامعات فى بداية العام الدراسى الحالى ، تحث على تعلم اللغة الروسية . وسيكون من الصعب ، ولاشك ، فك الارتباط السوفييتى المصرى .